لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الثاني والعشرون: تفسير الآيات ٥ - ١٧ من سورة فاطر

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

من نعمة الله علينا أن أمدّ في أعمارنا فبلّغنا هذا الشهر الكريم وبلّغنا هذه الأيام المباركة، نسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبل منّا أعمالنا، وأن يجعلها ذُخرًا لنا يوم أن نلقاه، اللهم آمين .

ومما هو ممدوح في العمر كله وفي هذا الشهر خاصة تدبّر القرآن، لنصل بالتدبّر إلى **توحيد الرحمن**، توحيده في أسمائه وصفاته وأفعاله، **ومن ثم تعظيمه**، ومن ثم **صرف الذلّ والانكسار والتعلّق** به، فتكن عبدًا كما يحبّ ويرضى.

وطريق العبودية كما هو معلوم أن تسمع الأخبار عنه كما ورد في الكتاب والسنة، فتعتقدها، ويمتلئ قلبك تعظيمًا لها، فتنكسر بين يديه.

ومن السور العظيمة التي فيها هذه الدلالات العظيمة سورة فاطر، التي ما يقرأها الإنسان بشيء من جمع القلب والتركيز إلا يجدها ظاهرة الدلالة على إثبات الأمور الثلاثة:

الأمر الأول: عظمته سبحانه وتعالى واستحقاقه للألوهية.

- فاشتملت هذه السورة على أدلة كثيرة تدلّ على تفرّده سبحانه وتعالى بالألوهية، من افتتاحها لما يدلّ على أنه مستحقّ الحمد على إبداعه الكائنات الدالّ على تفرّده بالألوهية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر:١ مطلع السورة من أظهر الأدلة على موضوعها.

الأمر الثاني: إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، وأنه جاء بشيء جاءت الرسل به من قبل.

الأمر الثالث: تذكير الناس بالبعث والدار الآخرة.

فمن قرأها بقلبه، وجد في السورة تذكير بنعمة الله، نعمة الإيجاد والإعداد والإمداد، وفيها من التذكير باللقاء ما فيها.

فمن إحسان الإنسان بنفسه أن يقرأها قراءة من يريد أن يعرف الله، ويعرف أفعاله، ويعرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ويعرف كيف سيكون اللقاء.

- وفي السورة ملحظ عظيم وإشارة مهمة وهو أنه لا مفرّ من لقاء الله، فلا تغترّ بالإمهال ولا تظنّه إهمالاً!

إنّ الشيطان يغرّ الناس، وينسى الناس عداوته، فيفسّرون أحوالهم وأحداثهم على خلاف الحقيقة، فالسورة تذكّرنا بأنّه لا تغترّ بإمهال الله، فإنّ الله لا يخلف وعده.

- وفي السورة نداءات للناس، نداء في صدر السورة في الآية الثالثة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾، ثم يأتي النداء الثاني: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾، ثم يأتي النداء الثالث: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾.

نحن نبدأ في ساعتنا هذه من النداء الثاني، لكن واضح النداء الأول وأنه أكيد هو النداء الأول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾ يا أيها الناس عليكم أن تعتقدوا أن ربكم هو الله الذي يستحق الألوهية، وانظروا وفكروا هل من خالق غيره، وأكيد أن الجواب لا خالق غيره وأن الأدلة تدلّ على ذلك.

فإذا تبيّن هذا وهو مُتبيّن لكل صاحب بصر ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾؟ من المؤكد أن الجواب: لا رازق إلا الله، فإذن تذكر النعمة واشكرها واقدرها حق قدرها.

ومن أعظم الأرزاق التي رزقناها هذه الرسالة المحمدية التي هي وسيلة فوز الناس – طبعا الذين يتبعونه – بالنعيم الأبدي، فاذكروا نعمة الله ورزقه خاصة نعمته سبحانه وتعالى بإرسال الرسول.

لذلك لو نظرنا في الآية الرابعة ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ معناه الإشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الآية الثالثة الإخبار عن الرزق، والآية الرابعة الإخبار عن تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، كأنه يقال: الخلق لم يلحظوا أن من أعظم أرزاق الله إرسال الرسول، ولو لاحظوا ذلك واعتنوا به، لأطلقوا لعقولهم الاعتبار والنظر في بديع فضل الله عزّ وجلّ عليهم .

ونفس الآية نفس النداء الأول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ يتضمّن الدعوة إلى النظر في أدلة الوحدانية والقدرة والفضل، على كل حال نحن مقصدنا أن نبدأ من الآية الخامسة النداء الأول في السورة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ (٥) إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا
يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (٦) ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ
(٧) أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ
بِمَا يَصۡنَعُونَ (٨) وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ (٩) مَن كَانَ
يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ
وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠) وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا
يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (١١) وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ
وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٢) يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ
مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ (١٣) إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ
دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ (١٤) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ
ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ (١٦) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ (١٧) ﴾
فاطر: ٥ ـ ١٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾ إذا كان الله هو الحقّ، فوعده حقّ، وهذا الوعد الحقّ لابد أن يكون وراءه استعداد، الوعد الذي وعده الله بمعنى يوم البعث واقع لا يتخلّف، فإذا آمنت أنه هو وحده الإله الذي يرزق، فعليك أن تستعدّ للقائه.

نقرأ تعليق الشيخ على الآية :-

– يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث والجزاء على الأعمال

إذن وعد الله في أمرين:

١. أن الناس سيُبعثون
٢. وأن الناس سيُجازون على أعمالهم

فإذن ستعود مرة أخرى، لن تكون النهاية هنا، ولا الموت نهاية الخلق، إنما هي بداية لحياة جديدة، نهاية حياتهم على الأرض.

– (حَقٌّ) أي: لا شك فيه، ولا مرية، ولا تردّد

فإذا كان البعث وعد حقّ، سيكون فيه الجزاء على الأعمال التي عملتها هنا، حقّ لا شكّ فيه ولا مرية ولا تردّد، عليك أن تملأ فؤادك بهذه الحقيقة.

– قد دلّت على ذلك الأدلة السمعية والبراهين العقلية.

وكما اتّفقنا الأدلّة السمعيّة والبراهين العقليّة علينا أن نتفكّر فيها، فمثلاً: انظر إلى دورة حياة النبات، ودورة حياة الأرض التي يزرع فيها النبات، الفصول الأربعة هذه صورة للحياة والممات، الشمس وشروقها وغروبها صورة للحياة والممات، القمر وولادته وموته آخر الشهر صورة للحياة والممات، هناك أدلة سمعية وبراهين عقلية تدلّ على أنّ الله تعالى سيرجعنا، فلا تعطّل عقلك عن التفكير، فالتأمُّل عبادة وقربى إلى الله، ولا تظنّ أنّ التأمُّل والتفكُّر حِكرًا على من لم يكن مسلمًا ويدخل في الإسلام! إنما هي عبادة يتمتّع الإنسان بها قربة إلى الله.

- **فإذا كان وعده حقًّا، فتهيَّئوا له، وبادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة، ولا يقطعكم عن ذلك قاطع.**

إذا حرّكت شعورك وتأكّدت أنّ وعد الله حقّ، المطلوب منك أن تتهيَّأ وتتزيّن، وقد اشتهر عن قول عمر رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزنوا، وتزيّنوا للقاء".

الناس يخرجون في ذاك اليوم حُفاةً عُراةً، فأيُّ شيءٍ سيتزيَّنون به؟! لباس التقوى ذلك خير، فإذا لبَّست قلبك في الدنيا التقوى، كساك الله يوم القيامة من الحُلل، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام.

فهذا معناه أن الأشياء المعنوية التي في الدنيا مثل التقوى التي قال الله عنها أنها لباس، وهي لباس للقلب يلبسه، هذا اللباس المعنوي اليوم، غدًا سيصبح لباسًا حسيًّا، فتزينوا للقاء!

إذن تهيَّئوا له، والتهيّؤ الآن يأتي بعد يقينك أن هناك لقاء، فتحتسب صغير عملك قبل كبيره، وترجو أن يقبله، وترجو أن ينفعك، وتفكّر في كل عمل كيف يكون لي ذُخرًا لما ألقاه، فساعةً تجلس للدرس، تسأل الله أن يقبلها ويجعلها ذخرًا لما نلقاه، ينفعنا بها ويثقّل بها موازيننا، فلما نوزن تكون ساعة الدرس مثلا في الميزان تثقله، تكون عملاً صالحًا، فإذن تهيَّأ، وهذا التهيؤ لا يكن ضعيفًا.

- **وبادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة.**

ولا أشرف من هذه الأيام التي نعيشها في حياتنا! فلا نضيِّعها بما هو أقلّ أهمية، أي: اليوم الناس عليهم أن يكونوا متنافسين في الإخلاص، عليهم أن يكونوا متنافسين في أعمال القلوب، عليهم أن يكونوا متنافسين في الذلّ والانكسار بين يدي الله .

هذا التنافس لا يشعر به أحد من حولك، أنت صاحبه، فلا يشاركك فيه أحد، ثم يشترك الناس في الصيام وفي القيام وهو من الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها لابد، لكن هذه الأعمال الصالحة تنفع مع زيادة عمل القلب.

بمعنى: انظر لهذه الليالي على أنها شريفة عظيمة، اثني على الله أنه بلغك إياها، واستعذ بالله من الكسل ومن الشيطان ومن وسواسه، واستعذ بالله من الرياء واستعذ بالله من الكبر، اسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلك من المقبولين، فكِّر في نقاط ضعفك، وركِّز ألا تُبتلى بها.

فمنّا الغضوب الذي تأتي عليه في هذه الأيام أمورًا تثيره فتغضبه، ومنَا الحقود الذي مرضه حقده فتأتي هذه الأيام وهو يريد الصفاء فيأتي أحد يثير عليه حقده، ومنّا المتكبّر -مريض بالكبر-، فتأتي عليه الأيام فيظهر كبره على الخلق، فإذن هذا عالجه، وهذا تقرّب إلى الله بإصلاحه.

فلا ينفعنا عند لقاء الله إلا القلب السليم، أما اقلب المريض فهذا لا ينفع مهما كثرت الأعمال، وهذا ليس تزهيدًا للعمل الجارحي، بالعكس، هذا تهيئة للقلب لينزل العمل الجارحي في مكانه.

فاجعل شغلك نفسك، وفكِّر في ما يصلحها، وفكِّر في عيوبها وأمراضها، واعلم أنّ الله عزّ وجلّ يريد لك اليُسر، فيَسِّر الأمر على نفسك، وقُمْ مقام المتذلِّل بين يدي الله، الخائف أن يُرَدّ والناس يُقبلون! والخائف أن يغترّ ويظنّ نفسه قد عمل وأحسن وهو في الحقيقة من المردودين! فلما تقوم في الصلاة -على أنّ أهم الأعمال في ليلة القدر هي الصلاة عند الناس- أهم الأعمال أن تقوم فتصلي، **والحقيقة أن أهم الأعمال أن تشعر بخطورة ما ستلقاه لما تقف بين يديه، أن تحرّك قلبك تجاه طلب عفوه.**

(اللهمّ إنك عفوٌّ تحبّ العفوَ فاعفُ عنّي) سألت أمنّا عائشة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم لو علمت أن هذه ليلة القدر ماذا تفعل؟ تقول: اللهمّ إنك عفوٌّ تحبّ العفوَ فاعفُ عنّي.

المعنى: ماذا اختلج في قلب من يقول هذه الكلمة؟ اختلج هول اللقاء، عظمته، عظمة ما سنلقاه من لحظة خروج الروح إلى لحظة الوقوف، ونحن نتأمل أن نكون ممن يكونون ضحى مستقرين في جنات النعيم، هذا الذي يجب أن يكون شغل فؤادك الشاغل.

فإذا شغلك هول ما ستلقى، اعلم أننا في ذاك اليوم لا ننجو بالعمل، إنما العمل وسيلة وسبب، ينظر الله إليه فيقبله فتستحق بهذا السبب أن يعاملك الله برحمته، **فأنت لست ناج إلا برحمته.**

فإذا كنا لا ننجو إلا برحمة الله، معناه أنني أفحص أعمالي من أجل أن تكون سببًا لرحمة الله، فلما أنظر إلى أعمالي أجد أنه حتى أعمالي لا تبلغني لأن تكون سببًا لرحمته! نقص، ضعف، شرود، عناية في الدنيا.. إلى آخر ما في القلب من أمراض، **فما الحل؟**

الحل: **مقتُ النفس، والاتجاه بكلّيّتنا إلى الله**

- عامِلْنا بعفوك، عامِلْنا بعفوك
- امحُ عنّا ما سلف وكان
- واجعل ما كان منّا من أعمال صالحة سببًا للغفران
- وما كان منّا من سيئات اجعله كأنه ما كان.

من طمع بالعفو لابد أن يكون في غاية الذل، وهذا الشعور لا يفارقك في هذه الليالي العظيمة، ثم تحمله معك في حياتك دائمًا، عبِّر عن هذا الشعور باغتنام الأوقات الشريفة.

تريد أن تصل إلى ليلة القدر وتكون ممن قامها إيمانًا واحتسابًا، فيا للعجب (إيمانا واحتسابا!

- سبِّح
- كبِّر
- احمد الله
- أظهر فقرك له
- لابد أن يكون في القلب مشاعر العجز عن شكر نعمته بل عن عدّها
- عامل الله طوال الليل في هذه الليالي الشريفة كما تعامله طوال النهار

معنى ذلك أنّ قلبك سيكون عظيم العمل، أشغل ليلك كله مع نهارك، أشغل قلبك بالأعمال، لا تهرب من نفسك، فعلت كذا وكذا من الأعمال، فتّشها هل هذا كبر؟ فعلت كذا وكذا من الأعمال، هل هذا حقد؟ فعلت كذا وكذا من الأعمال هل هذا خطأ؟

اطلب من الله صلاح القلب، وميّز بلاءك، عامل الله بقلبك، وأعظم باب يُفتح للعبد يتقرّب به إلى ربه الفقر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ كما هو النداء الثالث في هذه السورة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ إذا كان حقّ، فتهيّأ له، وبادِر أوقاتك الشريفة بالأعمال الشريفة، التي أولها وأهمها **عمل قلبك**، عبِّر عن ذلّك وانكسارك ويقينك أنك

ستلقاه وخوفك من هذا اللقاء ألا يكون على أحسن حال، عبِّر عنه بتسبيحة وتكبيرة وابتهال وانكسار، ناج الله، ناج الله بقلبك الليل والنهار، ثم عبِّر عن هذا أيضًا بِوِرْدك في القرآن، وبصلاتك في الليل.

قم ليلة القدر بقلبك قبل قدمك

قم ليلة القدر بفقرك قبل ثقتك، ولا تثق في نفسك إنما الثقة في رحمته.

عبد ضعيف أتى ببضاعة مزجاة لا قيمة لها، يريد مِن الملك القوي العظيم الغني أن يعاوضه عليها وهو الذي يقول: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ الحديد: ١١ فما لنا إلا الفقر، لا الأعمال تنفعنا، ولا الأقوال تنفعنا، ولا أموالنا التي ننفقها تنفعنا إذا ما افتقرنا إليه وما أظهرنا ذلنا بين يديه، ينفعنا هذا إذا حققنا الأول بقلبنا، ولا تظنّه يسيرًا، ما أصعبه على الغافل عن قلبه، ولذلك ربما يكون هناك عبد على سريره بكى من ذنبه ووقف بين يدي ربه بقلبه في غاية ذلّه نجا، وناصب قدميه في أشرف الأماكن لا ينجو!.

فالأمر أمر قلب، فإذا أحسنت لنفسك، اجمع بين قلبك وبدنك، عبّر عن يقينك بلقائه، واستعدادك له وتهيؤك للقائه بهذه الصلاة وهذا الذكر، فالصلاة تعبير عما قام في قلبك من ذلّ له، فهي مثل غيرها من الأعمال الصالحة، مثل غيرها نقصد أنها تشترط قلبًا حاضرًا.

والله المستعان وعليه التكلان، نرجوه ألا يخذلنا، ونرجوه أن يقبلنا، ونرجوه أن يعيننا على عمل صالح ينفعنا لما نلقاه، ما لنا إلا الفقر بين يديه والحاجة إليه، نحن تامّي الفقر، عظيمي الحاجة وإن لم يتغمّدنا برحمته فلا ينفعنا شيء، ليس للخلق من دونه ولي ولا نصير.

– (فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية، فتلهيكم عما خلقتم له

وهذا من أسوأ أحوال الخلق، أن يأتوا إلى الأيام الشريفة العظيمة وينشغلوا بغير المقصود ويريدوا غير ما يريد الله! فتجد الإنسان يترك العمل العظيم وينتقل فكره للتافه من الأمور، ولما هو في حكم الواقع المقدر.

فمثلا، من وساوس الشيطان في مثل هذه الأيام وأنت تصلي في غاية جمع قلبك، يلقي إليك: ماذا ستفعل لما ينتهي رمضان؟ ماذا ستفعل في العيد؟ وكذا وكذا من التفاصيل التي لا قيمة لها، أليست الشياطين محبوسة؟! قد كررنا أن مردتها محبوسين لكن صغارهم موجودين، وهذا مما يتمكّنه صغاره، غير نفسنا التي تشتهي الدنيا فتغرّها الدنيا.

إذن لا تغرّنا الدنيا بشهواتها ولذّاتها ومطالبها النفسية، لابد أن نؤدّب أنفسنا، أدبها في ساعات تنفعك يوم تلقى الله.

- **(وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) الذي هو (الشَّيْطَانُ) الذي هو عدوكم في الحقيقة (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) أي: لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائما لكم بالمرصاد.**

كن على يقين من هذه الحقيقة، أنه دائمًا لنا بالمرصاد، إن لم يتمكّن كباره منّا -محبوسون مثل هذه الحالة التي نحن فيها- يوعز إلى صغاره، والنفس فيها الاستعداد فيفعل فيها ما يفعل من إلقاء الوسواس، والحقيقة أن موضوع الشيطان -موضوع علاقتنا به- موضوع عظيم، لابد أن نعتني به، وإذا تيسّر لنا ووفّقنا الله شرحنا سورة الناس وهذا لا يمنع أن نشير هنا إشارة بسيطة نقول فيها:

إن وسيلة الشيطان الوسواس، والوسواس هي تلك الفكرة الملحّة التي لا تتركك حتى تأخذ من قلبك، فانظر إلى نفسك وأنت تصلي، فكرة ملحة تصرّ عليك، فكرة مخيفة، فكرة تشهيك الدنيا.

الوسواس هو الفكرة الملحة التي تلح وتعاد وتعاد عليك، ولكن لها طرق هذه الفكرة الملحة، منها الأفكار المرعبة، سيموت أولادك، سيقعون، سيخرجون ويحصل لهم كذا، على حسب نقطة ضعفك، أبناؤك، بيتك، مالك إلى آخره، سيخسر سيحصل، هذه فكرة ملحة من نوع الإرهاب، سيخرج لك من هنا كذا، ستقتل أولادك، هذه من الأفكار التي يلقيها الشيطان، فتكون المرأة في مطبخها فتستعمل السكين فيأتيها الشيطان: ستستعملين هذه على أبنائك، يعيد عليها إلى أن تستقبل الفكرة بشيء من الرعب ولا تردّها إلى أن تسيطر ويصبح ما يسمى بالوسواس القهري.

هذا في المخيف من وسواسه، وهناك الضد، هناك المحبب الذي تميل إليه النفس، هناك الشهوات، مأكول، مشروب، نكاح، يأتيك في الصلاة وفي خلوة شأنك يأتيك ويحرك عليك هذه الأشياء التي تشتهيها، الشيطان عدو هنا يثير غضبك، هنا يثير خوفك، هنا يثير شهوتك.

أنت اهرب من الأفكار الملحة اهرب منها، أول ما تجد شيئًا ملحًّا عليك اعلم أنه من الشيطان، لأنّ العدو أبعده الله ما تأتيك فكرة فيها خير وصلاح إلا ويقطعها عليك، الأفكار الملحة التي مثل هذه إنما هي من أفعال الشيطان، أما أفعال الخير والإيمان فما ألذها وما أكثر عداءه لها.

الآن تريد خيرًا وتريد صلة رحم وتريد برًّا وتريد صدقة، يثقلنا وكأنه جبل، هذا الريال الذي ستخرجه أو هذه اللقمة التي ستعطيها، وكيف تنزل وتخرج وتأتي، فلا تتعجب من تثقيله إلى أن تصبح لك عادة، مثلا يصبح الإنفاق لك عادة فينقطع البعيد عنك، فلا يستطيعك في هذا الأمر.

ولذلك كان السلف يقولون: "حُبِّب إلينا الإنفاق حتى خشينا ألا نؤجر عليه!" أي أصبح سجية نفسية عندهم، من كثر حبهم للإنفاق وأصبح سجية عندهم والشيطان لا يأتيهم خافوا ألا يؤجروا لأنه لا توجد معركة، وهذا من زيادة إيمانهم.

بمعنى أن الإنسان قد تدرب عليها وابتعد عنه البعيد وتركه في هذا الباب، نرجو من الله أن تكون دليل خير وصلاح وكل هذا وراءه الذل بالقبول نسأل الله أن يقبلنا.

- **﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ هذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد.**

هذا غايته ومقصوده، كن على علم، يريد أن يكون الناس معه حزب إلى أن يصلوا فيكونوا من أصحاب السعير، فمن تبعه أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد ، هذا غايته ومقصوده

- **ثم ذكر أن الناس انقسموا بحسب طاعة الشيطان وعدمها إلى قسمين، وذكر جزاء كل منهما، فقال:**

1. **﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: جحدوا ما جاءت به الرسل، ودلت عليه الكتب ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ في نار جهنم، شديد في ذاته ووصفه، وأنهم خالدون فيها أبدا.**
2. **﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بقلوبهم، بما دعا الله إلى الإيمان به ﴿ وَعَمِلُوا ﴾ بمقتضى ذلك الإيمان، بجوارحهم، الأعمال ﴿ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم، يزول بها عنهم الشر والمكروه (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) يحصل به المطلوب.**

إذن ما المطلوب منك؟ أن تكون ممن له مغفرة وأجر كبير، آمن بقلبك وعبر عن هذا الإيمان بجوارحك، وهذا من فضل الله أن جعل الأمر لنا غاية في الوضوح.

- **يقول تعالى: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ) عمله السيئ، القبيح، زينه له الشيطان، وحسنه في عينه.**
(فَرَآهُ حَسَنًا) أي: كمن هداه الله إلى الصراط المستقيم والدين القويم، فهل يستوي هذا وهذا؟
فالأول: عمل السيئ، ورأى الحق باطلا والباطل حقا.
والثاني: عمل الحسن، ورأى الحق حقا، والباطل باطلا ولكن الهداية والإضلال بيد الله تعالى، (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ).

فالأول عمل السيء ورأى الحق باطلا والباطل حقا، والثاني عمل الحسن ورأى الحق حقا والباطل باطلا، ولكن الهداية والإضلال بيد الله، فلا تذهب نفسك عليهم - أي على الضالين الذين يزين لهم سوء عملهم وصدوا عن الحق — حسرات.

- **أي: على الضالين الذين زين لهم سوء أعمالهم، وصدهم الشيطان عن الحق (حَسَرَاتٍ) فليس عليك إلا البلاغ، وليس عليك من هداهم شيء، والله هو الذي يجازيهم بأعمالهم. (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).**

والمقصد هنا أن العبد إن كان صادقًا وأراد الطريق، هداه الله إليه، وإن كان كاذبًا ولم يكن شاغله لقاء الله، وشاغلة له الدنيا يزين له الشيطان سوء عمله، والله يقول هل يستويان هذان الشخصان؟ شخص زين له سوء عمله فرآه حسنا، هل يستوي بالثاني الذي عمل حسنا ورأى الحسن حسنا والباطل باطلا؟ من المؤكد أنهما لا يستويان.

فمعنى ذلك أن من الأمور التي يخادعنا بها الشيطان لما يجد فينا إقبال على الرحمن يزيّن لنا عقولنا وآراءنا، الآن هناك فريق انطوت عليه مكائد الشيطان اغتروا بغروره وما ناصبوا الشيطان العداء، وهناك فريق أخذوا حذرهم منه، احترسوا من كيده، تجنبوا السير في مسالكه فماذا سيحصل؟ كما في الآيات: سيصبح هناك كافر معذب ومؤمن صالح منعم.

بعد ذلك تبيّن لنا من جديد أن هناك قوم يغرهم الشيطان غرورًا آخرًا وهم أنهم يسيرون في طريق الباطل لكن يزين لهم أن الطريق الذي يسيرون فيه حق! فبدؤوا طريقهم إلى الله ، لكن خطفهم الشيطان في وسط الطريق، وهؤلاء ما أكثرهم من أصحاب البدع وما أكثرهم من أصحاب الممارسات النفسية الشاذة في داخل العبادات، الإنسان يسير إلى ربه خائفا منه، يبحث عن رضاه في عبادته مقصوده أن يعمل لرضا الله، لكن هؤلاء الذين يقع في قلوبهم نوع من ممارسات الانحراف النفسي تجد منهم عمل حق لإرادات باطلة.

فإن هؤلاء يزين لهم سوء عملهم ويرونه حسنًا، وما أخطر هذه الحال على الإنسان يتحوّل من شخص يريد الحق إلى شخص يظنّ نفسه أنه على حق وهو على الباطل! لما تقارن بشخص يسير في طريق الضلال وهو يعرف أنه في طريق الضلال بشخص يسير في طريق الضلال وهو يظن نفسه أنه على حق! فما أخوف هذه الحال ولا نجاة لنا إلا كما أخبرنا الله أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

فالحل: الاستهداء، عبادة الاستهداء، اطلب الله بصدق أن يهديك الصراط المستقيم، اجمع قلبك عليه ، يرى الله ذلّك وصدقك وانكسارك وحاجتك، فيعاملك برحمته وهو تعالى الودود الرحيم، نطمع في رحمته ولا نتأمّل في أعمالنا.

- يخبر تعالى عن كمال اقتداره، وسعة جوده، وأنه (أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) فأنزله اللّه عليها (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)

فحييت البلاد والعباد، وارتزقت الحيوانات، ورتعت في تلك الخيرات، (كَذَلِكَ) الذي أحيا الأرض بعد موتها، ينشر الله الأموات من قبورهم، بعدما مزقهم البلى، فيسوق إليهم مطرا كما ساقه إلى الأرض الميتة.

وهذا معلوم، أن يوم القيامة تمطر السماء مطرا كمنيّ الرجال.

- فينزله عليهم فتحيا الأجساد والأرواح من القبور، ويأتون للقيام بين يدي الله ليحكم بينهم، ويفصل بحكمه العدل.

إذن تأمّل الآية جيدًا، نحن الآن في سياق الكلام عن اليوم الآخر فلماذا أتى الكلام عن الرياح؟ خاتمة الآية التاسعة تجيب السؤال، فالإخبار عن إرسال الرياح واضح أنه من أدلة ألوهية الله وهذا مقصود فلماذا أختير هذا الدليل؟ لأن هذا الدليل فيه إشارة وتنظير إلى إحياء الأموات بعد الفناء، فانظر إلى ذلك الصنع العجيب إن الذي خلق وسائل إحياء الأرض قادر على إحياء الذين ضمنتهم الأرض، فلذلك نركز في آية فاطر ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾ فاطر: ٩ أي هذا نموذج للنشور، ينزل المطر على أرض ميتة فيحييها الله فهذا دليل على ألوهيته وعلى قيام الناس، لذلك ختمت الآية ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾ لذلك من أعظم الأدلة التي نبينها مع أحادث الرسول صلى الله عليه وسلم أن في القيامة قبل النفخة الثانية أن الله ينزل مطرا كمني الرجال

فتنبت الأجساد، ثم تأتي النفخة فتلتقي الأرواح بهذه الأجساد، إذن هذا في النفخة الثانية الأجساد قائمة ماثلة مثل الشجر فلما يأمر الله بنفخ الأرواح فتلتقي هذه الأرواح.

لذلك في رواية عند الإمام أحمد قيل له : "كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: هل مررت بواد أهلك؟ ثم مررت به يهتز خضرا؟ قيل: نعم، قال: فكذلك يحيي الله الموتى، وتلك آياته في خلقه".

المقصود ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ اجعلها أمام عينيك وأن الله يخرج الخلق بهذه الصورة.

- **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) .**

أي: يا من يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد اللّه، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب.

فيرفع إلى اللّه ويعرض عليه ويثني اللّه على صاحبه بين الملأ الأعلى (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ) من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (يَرْفَعُهُ) اللّه تعالى إليه أيضا، كالكلم الطيب.

المعنى أن الإنسان يقال له: لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا تغرنكم بالله الغرور، وسمعنا عن الغرور وعلمنا أن الشيطان هو العدو وكيف يفعل بالإنسان، ولا تظنّ أنّ متابعتك للشيطان مما يوجب العزة، لا تفتتن بالشيطان! فيجعلك ممن يصرّ على رأيه، لا تكن حبسًا لهواك، إن الله عنده العزة يرفعك ويعزك ويحب منك الكلم الطيب، فإشارة الشيخ هنا عجيبة، قال:

- **فإن العزة بيد اللّه، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله:**

العزة بيد الله ولا تنال بالطاعة، والطاعة الكلم الطيب والعمل الصالح، ولا تظن العزة طريقها ما يوهمك الشيطان يغرك بطلب العزة في الدنيا ويتظن أنك ترتفع برأيك أو بفكرك أو بمن تتابع، العزة لله وطريقها الكلم الطيب والعمل الصالح الذي يُرفع.

- **وقيل: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله تعالى، فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه.**

المعنى الثاني معناه أنت أولا عليك أن يكون عندك عمل صالح ليرفع كلمك الطيب، وهذا يذكرنا بأهل النفاق فما أعسل كلامهم وما أحلاه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٤ فالمعنى أنه لو ماكان لك عمل صالح كلامك الطيب لا قيمة له، العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب.

- **وأما السيئات فإنها بالعكس، يريد صاحبها الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة ونزولا ولهذا قال: (والعمل الصالح يرفعه وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)**

يهانون فيه غاية الإهانة. (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئا، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل.

فهذه حال من تابَع الشيطان، يُصرّ على رأيه ويتّبع هواه وهو في نهاية الأمر ممن يذلّهم الله، ومن أخطر الأحوال على قلوب الخلق أن يركبوا هواهم من أجل أن يعتزوا عند الناس من أجل أن لا يردّ لهم قول ومن أجل أن يبقوا دائمًا عند من حولهم أصحاب رأي، فهذه شهوة يركبها الشيطان ويوصل الإنسان إلى هلاكه.

ونختم اللقاء بقصة طريفة من التراث التركي شاهد على أن الانسان لما يُحبّ ويصرّ على أن يرفع له رأي ويبقى رأيه هو الصواب، والشيطان يركب هذا من المركب عند الإنسان:

يقال أن جنديًّا في كتيبة عُرف بانتصاره لرأيه وعدم قبوله المراجعة فيه، فكان ذات يوم مع رئيسه في جلسة بعيدة عن شؤون العمل، فكان يقول الرئيس: أن هذا البطيخ أيسر ما يكون أن يُقطع بالسكين بكذا وكذا، فقال الجندي: بالمقص لا بالسكين وأصر، ناقشه وردّ عليه وقلّب الأمر، ما أحسَن، فأمر كل الكتيبة أن تضربه لإصراره على رأيه، وهو ينادي يقول (بالمقص لا بالسكين تقطع يا أيها المسكين!) ويُضرب ويُضرب وهو في نفس الحال، فلما أصرّ على رأيه أمرهم أن يرموه في النهر على أنه يسبح ويبعد، لكن قدّر الله -كما يقال في القصة- أنه لا

يعرف أن يسبح، فهو في النهر ينادي (بالمقص لا بالسكين تقطع يا أيها المسكين) إلى أن غرق ولم يستطع أن يتكلم بسبب دخوله في سكرات الموت، فأصبح يرفع يديه -كلما طلع للسطح- إشارة إلى المقص لما انتهت قدرته على الكلام! ذهب بروحه من أجل الإصرار على رأي لا قيمة له!!

هذا ممن يُذكر لا ندري صحته، لكننا نرى من حولنا ممن على رأيهم يصرّون، ومن أجل أن بقى لهم مكانتهم بين الخلق يصرّون وهؤلاء في الحقيقة ما يغرّهم إلا الشيطان يريدون العزّة بغير قول الرحمن.

إن الكلم الطيب هو الذي يرفع الإنسان، فلا تكن ممن استهوته الشياطين فأصبح في الأرض حيران.

نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.